

## البنية والسياق و أثرها في فهم النص\*

للدكتور عدنان طهماسبي و للدكتور شهريار نيازي\*\*

### خلاصة:

النص و دوره المفصلي لقد لفت انتباه القدماء و من جملتهم عبدالقاهر الجرجاني حيث تناوله موضوعياً في كتابه القيم «دلائل الاعجاز». و من الواضح أن النص رغم مساحته الكبيرة لولا البنية و السياق لقد استعصى فهمه على القارئ و المتلقي، فعليه نرى أن المعاصرين لاسيما علماء اللغة و النقاد تفرغوا لهذا الموضوع و عكفوا عليه ملياً.  
تأسيساً على هذا أملين أن نكشف للقارئ الكريم مطويات في هذه الورقة المتواضعة.

الكلمات الاساسية: اللغة، الأدب، النص، البنية، السياق، الدلالة.

---

\* تأريخ الوصول: ٨٣/١١/٢٥؛ تأريخ القبول: ٨٣/١١/٣٥

\*\* استاذان مساعدان بكلية الاداب و العلوم الانسانية بجامعة طهران.

## مقدمة

إن فكرة البنية من القدم و لاسيما عند عبدالقاهر الجرجاني في كتابه القيم دلائل الاعجاز يشكل مساحة كبيرة لدى المعنيين بالأدب. هذا لا يعني عن تطور الفكرة لاحقاً و فعلاً توّجت الفكرة من خلال الالسنية و النقد الادبي الجديد الذي أخذ يتسنى اليوم الدور الريادي في تفسير الظواهر الادبية مما دفع بنا أن نلقي الضوء على ملامح هذه القضية التي تجسدت بفضل العلوم الجديدة في فكرة السياق.

في هذا المقال نحن بصدد بيان أهمية البنية و السياق و أثرها على الفهم الادبي و اللغوي مركزين على البنية عند القدماء و السياق عند المعاصرين على أنه يلعب دوراً كبيراً في استيعاب النصوص الادبية و غير الادبية. حسبك الموضوع أهمية أن العلماء قد تطرقوا اليه منذ القدم و مازالت الجهود المضنية تدك مصاريع أبواب هذا الموضوع.

## البنية أو السياق و أثرها في فهم النصوص

إن فكرة البنية التي سادت منذ القدم في الاوساط العلمية يترجم لنا أهمية الموضوع اذ دون تبلوره لايهتدي المرء الى المعنى المقصود أضف الى ذلك أنه يعجز عن التمييز بين دلالة المعنى و دلالة القصد راجماً المعنى الاصلي بأوهام الظن. ولا يخفى على القارى بأن الفكرة قد تبلورت و تجسدت من خلال ثوب "السياق" على يد المعاصرين من العلماء بيد أن الاخير لم يكن شائعاً بين علماء الدلالة القدماء على النمط المستخدم لدى "علماء الدلالة المحدثين، بعد أن استخدمه العالم البولندي مالىنوفسكي و هو عالم انثربولوجي أدرك و هو يدرك عدداً من اللغات البدائية أن وظيفة اللغة لاتقف عند مجرد نقل الافكار أو توصيلها - مع الاعتراف بأن عملية التوصيل من وظائفها الأساسية، بل إن اللغة نشاط انساني

Human activity ولا يمكن فهم اللغة بمعزل عن بقية أنشطة الانسان الأخرى، و على ذلك فإن سياق الحال Context of situation أو الظروف المحيطة بالحدث هي جزء متمم لهذا الحدث" و بناء على ذلك رأى مالمينوفسكي أنه "لا يمكن تحديد معنى الكلام بمعزل عن سياق النشاط الانساني المستمر" (محمد يوسف حبص، ١٩٩١ م، ص ٢٩). انطلاقاً من هذانرى أن العلماء منذ القدم انتبهوا لأهمية الموضوع و يقول ابن سينا في هذا السياق بأن:

«اللفظ بنفسه لا يدل البتة، ولولا ذلك لكان لكل لفظ حق من المعنى لا يجاوزه، بل إنما يدل بارادة الالفاظ» (الغدامي، ١٩٨٥ م، ص ٤٨٤٩).

و «مالمينوفسكي» يقول: «إن الكلمة في اللغات الحقيقية المنطوقة و المكتوبة خارج السياق اللغوي لاتعني أي شيء في نفسها» (محمد يوسف حبص، ١٩٩١ م، ص ٣٥) والقرطاجني «يبدأ في أول كتابه بتعريف المعاني، و على أساسه يرتب وجودها رتباً، حيث لها وجود أعيان و وجود أذهان و وجود ألفاظ و وجود خط" فاطمة عبدالله الوهبي، ٢٠٠٢ م، ص ١٩". و هذه المعرفة اللغوية تتحقق بوساطة التفسيرات الاتصالية الأربعة: / السماع / التكلم / القراءة / والكتابة كأداء لغوي أنظر الصورة / ١ / في الهامش (الفكر العربي، عدد ٦١ ١٩٩٠ م) أضيف الى ذلك ما أورده الوهبي الى ما توصلت اليه من دراستها لكتاب منهج البلغاء و سراج الادباء حيث تقول "فالمعنى و هو لبّ المسألة الوجودية الانسانية اللغوية قد:

١- يقوم في الفكر دون وسيط سمعي أو ما يلفظ شفهيّاً.

٢- يتحقق بالإشارة و الحركة العضوية.

٣- يتحقق بعبرة و تلفظ شفهي.

٤- يُجتلي مكتوباً و يتأمل بصريّاً خطياً. (ن. م، ص ٤٥).

وانسياقاً للمدارس الجديدة في الادب من بنوية الى تفكيكية نرى أن لكل منها منحنى خاص لفهم اللغة و الادب الامر الذي تنبهه اليه القرطاجني حيث يقول بأن

"... اللغة هي لب التجربة الأدبية" (الغذامي، ١٩٨٥ م، ص ١٦). في حين أن الاسلوبية "مركز على اللغة لذاتها لالما تحمله من دلالات" (م.ن، ص ١٨).

يبدو أن هذا التمهيد يكشف أن الدارس الادبي عندما يريد أن يتناول نصاً ادبياً يواجه صعوبات للفهم الواقعي والموضوعي لما يتشابه به النص والسياق من علاقة اذ "موضع النص من السياق مثل موضع الكلمة من الجملة، فلاقيمة للكلمة من دون الجملة، مثلما أنه لاوجود للجملة من دون الكلمة". (م.ن، ص ١١). وبهذا يتضح أمامنا بأن معرفة السياق واستيعابه أمر ضروري لتذوق النص وتفسيره موضوعياً "فمعرفة الجنس الادبي للنص" (م.ن، ص ١٢) مهم للغاية اذ النصوص تختلف الكلمات فيها باختلاف جنس النص "فلو قلنا مثلاً: (السيل حرب للمكان العالي) في خطاب عادي فاصدين بذلك أن السيل لا يحتبس في المرتفعات، فان قولنا هذا قول عادي لا يقيم في النفس أثراً جمالياً، ولكننا اذا وضعنا هذه الجملة في بيت شعر كما فعل - أبو تمام - بقوله: (ابرتمام، ١٩٩٤ م، ج ٢، ص ٣٨).

لاتنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي  
فان الجملة تتغير في إحداث الأثر وفي تحريك المخيلة. وذلك لأن دخولها في سياق مختلف، جلب معه طاقة مختلفة لهذه الجملة. ولا بد من معرفة هذا السياق وجود ثقافة كافية فيه لتحقيق درجة كافية من التذوق ومعرفة الشفرة وتقديرها. (الغذامي، ١٩٨٥ م، ص ١٢-١١) (١) فمن المعلوم لولا معرفتنا بسياق الشعر الجاهلي لما فهمنا قول لبيد بن ربيعة:

بُلينا كما تُبلى النجومُ الطوالع وتبقى الديارُ بعدنا والمصانع  
عسى القارئ الغائب عن سياق الشعر الجاهلي يرى في "المصانع" أنها تعني المؤسسات الاقتصادية والبنى التحتية دون أن يهندي الى أن هذه الكلمة تعني هنا "المنازل" (الغذامي، ١٩٨٥ م، فرحان بدري الحربي، ٢٠٠٣ م، ص ٨).

فالممتنع يرى أن البيئة وثقافة القوم والمجتمع اضافة الى العوامل السياسية و

الاقتصادية و الثقافية و سائر العوامل الاخرى من نبر و تنعيم و فواصل صوتية و حتى العلاقات الشخصية و لاسيما الدينية و الثقافات العالمية المتراكمة على اذهان الاديب و المتلقي عبر وسائل الاتصال المتاحة لهم يدفع بعالم لغوي انجليزي شهير يدعى "فيرث J.Rfinth بتطوير مفهوم السياق عند مالنوفسكي حتى باتت نظريته نظرية متكاملة، تقدم تصوراً مستقلاً" و امكانية علمية لتحديد المعنى، و منهجاً لتحليله. و لم تتوقف النظرية بعد فيرث بل قام عدد من تلاميذه و على رأسهم هاليداي Halliday و ميشيل Mitchell، و ليونز Lyons و غيرهم ممن أطلق عليهم الفيريثون الجدد قاموا بتطوير هذه النظرية" (حبلص، ١٩٩١ م، ص ٣١). و بفضل جهود تطورت الفكرة بحيث فرق أصحاب هذه المدرسة بين سياقين، "النوع الاول هو ما يعرف بالسياق اللغوي Linguistic context، و يقصد به مجموعة العناصر المقالية أو اللفظية للحدث اللغوي. و تشمل مايلي:

أ: الوحدات الصوتية (الفونيمات)، و الوحدات الصرفية (المورفيمات)، و الكلمات، و الجمل و العبارات، و النص، و الكتاب كله.

ب: ترتيب الوحدات داخل الجمل، و مجموعة العلاقات التي تربطها بعضها ببعض.

ج: طريقة نطق هذه الجمل، و ظواهر التطوير الصوتي Prosodies المصاحبة لهذا النطق، ومنها النبر، و التنعيم، و الفواصل الصوتية، النوع الثاني من السياق: هو ما يعرف عندهم بسياق الحال أو الموقف Context of situation، و هو يشمل مجموعة العناصر الحالية أو المقامية و من أهمها:

أ: شخصية المتكلم و ثقافته، و حالته النفسية، و كذلك السامع أو السامعون، و الاشخاص الحاضرون أثناء الكلام أو الذين لهم علاقة به.

ب: الأشياء أو الموضوعات المتصلة بالكلام.

ج: أثر الكلام على المشاركين فيه، كالأفعال، و الألم أو الإغراء أو الضحك.

د: الظروف المحيطة بالكلام كالبيئة، والزمن، والأحداث المعاصرة له: سياسية، اقتصادية، اجتماعية، دينية الخ التي تتصل بالموقف اللغوي" (ن، م، ص ٣٢-٣١).<sup>(٢)</sup> انطلاقاً من هذا حري بنا أن نعلم بان ما أرادته المدرسة الفيثرية منبثق عن السياقات التي يرى مالفينوفسكي وراءها "المعنى" اذ خلص الاخير الى أن السياقات تلکم هي: «١- الموقف الذي يرتبط فيه الكلام مباشرة بالنشاط البدني، علاوة على مغزاه الثقافي.

## ٢- الكلام نفسه.

٣- الموضوع أو الموقف الذي استخدم الكلام للتعبير عنه.» (ن، م، ص ٣٥) ولا يغيب عننا بان الكلام نفسه يتوزع على مستويات رفيعة، متوسطة، دانية و ينطوي تارة على لغة ثقافية، رسمية أو وثائقية و عسى أن يتجلى الكلام في لغة التعامل العائلية او المهملة و أخيراً العامية الخليطة و الخشنة (فيلي سانديرس، ٢٠٠٣ م، الفصل الثامن)

فلذلك يرى المرء بأن اساليب البيان العصرية ذات أفانين و متنوعة بحد تبدو عسيرة على الفهم، "اذ لها طابع شخصي و اجتماعي و وظيفي وهذا يعنى أنه من الممكن اليوم أن يلاحظ أن كل تعبير و مهما كان صغيراً له أسلوبه الذي يتميز به» (م، ن، ص ٤٩ جورج طرابيشي، ١٩٩٨ م، ص ٢٠٥-١٨٩. و ايضاً محمد عابد الجابري، ٢٠٠٠ م، ايضاً نصر حامد ابوزيد، ١٩٩٨ م، ص ١٨٦٥-١٤٨).

علماً بأن لغة الاشارة التي هي من ركائز "مالفينوفسكي" لها دور كبير في حياة الامم اذ يبلغ اللغة البدنية Body language لمجموعة Aranda الاسترالية تملك حوالي ٥٠٠ اشارة جسمانية و فوق ذلك "هذه الاشارات تمثل أشياء و أعمالاً و صفات و عبارات اجتماعية و حتى أسئلة تامة و عبارات كاملة" (أ. كوندراتوف، ١٩٧١ م، ص ١٣ بتصرف). و ظاهرة الاشارة ضاربة نفسها في تاريخ حياة البشر و هذا يذكر بنا "بحياة القسسين المسيحيين الصامتين الذين لم ينبسوا ببنت شفة لسنوات عديدة، فتحدثوا بلغة

الإشارة لان الكلمة المنطوقة كانت خطيئة" ويشير القرآن الكريم الى هذا حيث نرى في الآية "فكلي واشربي وقري عينا فإمّا ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً" القرآن، مريم، آية ٢٦" و الآية ٢٨ لها إشارة الى مانحن بصدده "فأشارت إليه... الآية" القرآن، مريم، آية ٢٨".

اما لغة الإشارة في بعض الاحيان ليست وسيلة دقيقة للمحادثة<sup>(٣)</sup> وهذا عند القارئ المرهف لا يحط من شأن لغة الإشارة، اما ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) في كتابه بديع القرآن فقد شرح مفهوم الإشارة حيث يقول «... هو أن يكون اللفظ القليل دالاً على المعنى الكثير، حتى تكون دلالة اللفظ كالإشارة باليد، فإنها تشير بحركة واحدة الى أشياء كثيرة لوعبر عنها بأسمائها احتاجت الى عبارة طويلة و ألفاظ كثيرة، والفرق بينه وبين الايجاز أن الايجاز بألفاظ المعنى الموضوعه له، والفاظ الإشارة لمحده دالة، فدلالة اللفظ في الايجاز دلالة مطابقة، ودلالة اللفظ في الإشارة اما دلالة تضمّن، او دلالة إلتزام...» (نقلاً عن «د محمد كشاش، ١٩٩٩ م، ص ١١-١٠»). عونتر بوسير، العدد ٦١، م ١٩٩٥). الجابري، نصر حامد ابوزيد، ١٩٩٨ م، ص ٧٥ و٨٢ و١٧٢ و١٤٩). وهذا ما نبيهه اليه القرطاجني بانه "تتحول الكلمة عندئذ الى (إشارة) لالتدل على معنى وانما لتثير في الذهن اشارات أخرى، وتجلب الى داخلها صوراً لا يمكن حصرها، وهذا ما سماه القرطاجني بالتحجيل" (الغذامي، ١٩٨٥ م، ص ٢٥) والحديث الذي أوردناه عن مالىنوفسكي بان "الكلمة في اللغات الحقيقية المنطوقة والمكتوبة خارج السياق اللغوي لاتعنى أي شىء في نفسها» وقد يتضح للمرء في حياته بانه يلمس هذه الحقيقة التي اشار اليها مالىنوفسكي والاخرين من قبله و من بعده، فالانسان في المحادثات العادية او الرسمية يواجه لبس و غموض معاني الكلمات وقد يقع الشجار تارةً بين القربين لعدم فهم ما يقصده صاحبه، فكيف بنا اذن ندعي بأننا قد نفهم كل ما أورده الشاعر الذي عاش قبلنا بمئات السنين فيما نرى انفسنا عاجزين عن فهم لغة الزوج او الزوجة فكيف نفهم تفاصيل ما أورده الشاعر في شعره و من المعلوم بان "الجملة

تتغير في إحداث الأثر وفي تحريك المخيلة. وذلك لأن دخولها في سياق مختلف، جلب معه طاقة مختلفة لهذه الجملة. ولا بد من معرفة هذا السياق ووجود ثقافة كافية لتحقيق درجة كافية من التذوق، ومعرفة الشفرة وتقديرها. (الغذامي، ١٩٨٥ م، ص ١٠-١٢). ومن الواضح عدم الانسياق وراء ثقافة النص يدفع بالقارئ لكي ينزلق في متاهات تندفع به ليصدر بعض الاوقات احكاماً قاسيةً بعيدةً عن الموضوعية العلمية التي تتطلب جهداً وافياً وتدقيقاً ممحصاً ولنا أن نقول إن "عدم معرفة السياق الأدبي، ومعه نظرية الأجناس الأدبية، أو وجدت في ثقافتنا اليوم أناساً يقرأون الشعر (والحديث منه خاصة) مثلما يقرأون المقالة و يطلبون في الشعر سياقاً مثل سياق ما يجدون في معاجم اللغة. فاذا أعجزهم وجود هذا راحوا يرمون الشعر بتهم الغموض والغرابة" (ن.م، ص ١٢-١١) عبدالرحمن، ٢٠٠٢ م).

اذن فهم الشعر و الشاعرية (Poetics) لهما دور بارز في استيعاب و فهم النصوص أضف الى ذلك بأن الشاعر في عصرنا هذا نراه منفتحاً على ثقافات كثيرة بفضل قنوات الاتصال المرئية و المسموعة و المترجمة و بفضل المدارس الجديدة في الادب كالبنوية و السيميولوجية و التشرحية التي تقدم معايير لتزود القارئ بمفاتيح النص (الغذامي، ١٩٨٥ م - عبدالعزيز حمودة، ١٩٩٨ م) فلذلك القارئ ينجرف بهذا الكم الهائل من المعلومات الى متاهات أضف الى ذلك تجربة تداخل النصوص (Intertextuality) اوالتناص او على ما ذهب اليه الدكتور حمودة بـ(بين - نص) (م، س، ص ٣٤١) الذي أضفى زخماً كبيراً للأدب فالمتلقي و المتتبع يرى نفسه مسكوناً بالحيرة من جزاء «الشاعرية التي تنبع من اللغة لتصفها، فهي: لغة عن اللغة، تحتوي اللغة و ما وراء اللغة، مما تحدثه الاشارات من موحيات لا تظهر في الكلمات، ولكنها تختبئ في مساريها» (الغذامي، ١٩٨٥ م، ص ٢٥) فعندما يدخل التلميذ المدرسة متأخراً ويرى المدير في ساحة المدرسة يقول في نفسه متمتماً "ياساتر" بدل سائر اسماء الحسنى فهذا التعبير يوحي بمعنى خاص لا يخفى على أهل اللغة او عندما يدخل الطالب



الى الصف متأخراً، المعلم يقول له "صباح الخير" فالمعلوم ان لكلامه وقع على السامع اذ لا يقصد من وراءه تبادل التحيات بل لغة القصد هي لماذا تأخرت و هلم جراً فيتسائل المرء اذ اللغة العادية و المألوفة لها هذه الطاقة من المعاني فكيف بنا و الشعر و الشاعرية فتأسيساً على هذا نقول الشاعرية هي لغة ما وراء اللغة لالغة الاشياء و لغة المعاجم، لذلك مجالها لا يقتصر على الموجود و انما قد يتجاوزها لكي يفتح على آفاق جديدة علماً ان هذا الجديد لا ينفد بل يبقى ببقاء المتلقي الفطن نابضاً و حيويماً و فتأسياً عليه نقول إن النص الادبي يحتمل اكثر لما موجود في الظاهر و هذا يذكر بشعر مولانا جلال الدين الرومي:

هر کسی از ظن خود شد یار من  
از درون من نجست اسرار من  
يعني الناس يشاركونا بما يظنون لا بما نحن فيه (فروزنفر، ١٣٧٧ هـ، ص ٢٢)، و يذكرنا ايضاً بما ينقل عن الاصوليين بأن القرآن قطعي السند ظني الدلالة. فعناصر الاتصال اللغوي و كيفية علاقتها بالأدب قد شغل مساحة كبيرة من كتب العلماء سابقاً و لاحقاً ولنشفح الآن كلامنا بما أورده حازم القرطاجني عن الاتصال اللغوي الذي يوزعه الى "ما يرجع الى القول نفسه أو ما يرجع الى القائل او ما يرجع الى المقول فيه أو ما يرجع الى المقول له (الغذامي، ١٩٨٥ م، ص ١٥) هذه العناصر التي أوردها القرطاجني في كتابه القيم منهاج البلغاء و سراج الادباء حوالي ٧٠٠ عام قبل ياكوبسون الذي نتحدث عنه لاحقاً يمكن أن تلخص كالتالي:

١- ما يرجع الى القول نفسه = الرسالة

٢- ما يرجع الى القائل = المرسل

٣- ما يرجع الى المقول فيه = السياق

٤- ما يرجع الى المقول له = المرسل اليه

و قد حددها ياكوبسون كالتالي (مرسل، رسالة، مرسل اليه، سياق، شفرة و وسيلة اتصال). و حسب ياكوبسون "كل قول يحدث انما يدور في هذه المدارات الستة

مهما كان نوع ذلك القول». (للمزيد راجع المصدر السابق و نظرية المعنى عند حازم القرطاجني و مجلة الفكر العربي العدد ٩٥ شتاء ١٩٩٩ م، العوادى، ٢٠٠٠ م، الحربي، ٢٠٠٣ م). فلذلك لفهم النصوص لاسيما الادبية لايمكن ان تبلغ معناها الاصيلي والحقيقي من خلال كتب معاجم او قواعد صرفية و نحوية بل علينا ان نتجاوز كل هذا دون أن نقلل من أهميتها الى آفاق رحبة متزودين بكل العلوم و لاسيما العلوم الانسانية والالسنية (Linguistic) التي طورت كثيراً من هذا المفاهيم على يد "سوسير" و من قبله الجرجاني الذي فرّق بين مستويين من المعاني:

١- المعاني الحقيقية أو المعاني المعجمية.

٢- المعاني المجازية أو معاني العلاقات، حيث أطلق على الاول المعنى وأطلق على الفرع الثاني «معنى المعنى» و يقصد من الاول المفهوم من ظاهر اللفظ، الذي تصل اليه بغير واسطة، و يقصد من الثاني أن تعقل من اللفظ معنى "آخر". (للمزيد راجع (دى سوسور، ١٩٨٥ م). و على ضوء اللسانيات لسبر معنى الكلمات و علاقاتها الخارجية والداخلية نتوصل بأن للكلمة علاقة خارجية و داخلية.

اما الداخلية: «هي علاقات التأليف و علاقات الاختيار» (الغذامي، ١٩٨٥ م، ص ٣٦). «و علاقات التأليف تتحرك (أفقياً) و تعتمد على التجاور بين الوحدات المؤلفة... فكلمة (جاء) على صلة تألف تبادلية مع (الرجل) مما يمكننا من التأليف بينها فنقول: جاء الرجل. لكن (جاء) تتنافر مع فعل آخر مثل (غاب) و لانستطيع أن نؤلف بينها فنقول جاء غاب» (م، ن ص ٣٦) و من الواضح القصد من هذا تزامناً اذ عسى هناك من يقول جاء غاب و يفصل بينهما فلايتنافران عندها المعنى.

و تكون العلاقة أيضا (ضدية) من حيث مخالفة الكلمة لكلمات آخر يصح ورودها في مكانها مثل البياض و السواد او الجنة و النار» (م، ن، ص ٣٧ و للمزيد راجع اقسام التقابل في كتاب المنطق للمظفر، ١٩٨٦ م، ص ٥١) فصاعداً «وتكون العلاقة علاقة استبدالية تأسيساً على ما قال بارت (R.Barth) (الفحص الاستبدالي Commutation) و هو أن

نقوم بتغيير الدال (الكلمة) باحلال بدائل عنه من سلسلة الاختيار و حركة الاستبدال تمس البنية كلها فتغيير احدى الكلمات ينجم عنه تغيير وظائف الأخريات في نفس البنية فقولنا:

ضرب صالح محمداً

ثم ضرب صلاح مثلاً

نرى في الجملتين الحدث الصادر من صالح ليتحول من حركة يدوية او بدنية الى فعل لساني او ذهني، اما في:

«ضرب صالح محمداً في أهم مشروعاته لنال الجملة تغيير كامل في عناصرها» (الغذامي، ص ٣٩) و هذا حسب "سوسير" يلغي "الوجود الجوهري للكلمة، و يؤسس العلاقة كقيمة أولى لنشوء وظيفة لها" (م،ن، ص ٣٩).

اما العلاقات الخارجية «قسمها بارث الى ثلاث أنواع و هي»:

١- علاقة تضامنية، و ذلك عندما تتضمن الجملة أختها و تعتمد كل واحدة منهما على الأخرى كقول الشابي:

و من يتهب صعود الجبال

يعش أبد الدهر بين الحفر

اذا لا يمكن لاحدهما الاستغناء عن الأخرى، (م،ن، ص ٣٩ بتصرف) و هذا ما يعبر عنه المنطقة باللزومية فللمزيد راجع (المظفر، ١٩٨٦ م، ص ١٧٩).

٢- علاقة التضمين البسيط، عند ما تكون واحدة منها فقط متضمنة الأخرى (والثانية حرة) مثل قول امرئ القيس:

"قفانبك، من ذكرى حبيب و منزل" حيث تستطيع الجملة الاولى الاستقلال

بنفسها دون الأخرى، (م،ن، ص ٣٩ بتصرف و للمزيد راجع، ٢٠٠٢ م، للقرويني ص ١١٤).

٣- علاقة تأليف، و ذلك عندما لا تتضمن الجمل لبعضها البعض وانما يربطها رابطة التأليف الحر، (م،ن، ص ٤٥).

و هذا يدفعنا لنقول ان الالفاظ أجساد و المعاني أرواح على ما قاله ابن رشيق في

العمدة (للمزيد راجع، الجابري، ٢٠٠٠م، ص ٧٩)

و أخيراً اذكر ما أورده عبدالقاهر الجرجاني (ت ٧١هـ) في كتابه دلائل الاعجاز «حيث يطرح أن النظم هو وضع الكلام الذي يقتضيه علم النحو، و النحوها هنا لا ينحصر بالاعراب بل يشمل كذلك علم المعاني و البلاغة و البيان و البديع، و يدور حول الشكل لا المعنى، فيتناول الصناعة و الاختيار و التحسين، و الشكل لا يتعلق باللفظ المفرد بل بموقعه في الجملة، ولا بالجملة برأسها، بل بائتلافها مع جاراتها، فالجرجاني ينظر الى المجموعة، او ما يسمى في أيامنا البنية، لا الى المفردات. (مصطفى الجوزو، ١٩٩٥م، ص ١٩٧).

### نتيجة البحث

و تبين للقارئ الكريم الذي يعفو عن هفواتنا بأن "السياق" و البنية التي تساوق "السياق" حسب ما توصلت اليه من خلال ما أورده عبدالقاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز يلعب دوراً كبيراً في فهم النصوص الادبية و غير الأدبية و فوق هذا مثلما أن «السياق ضروري كمبدأ للقراءة الصحيحة، فانه ضروري للكتابة أيضاً» نقلاً عن رولان بارت و التأكيد على ضرورة السياق لاحداث فعالية الكتابة من جملة الامور الاساسية التي يجب أن توضع بنظر الاعتبار اذ في الواقع النص المبدع يتمخض حقيقة من نصوص أخرى و على ما تسميه مدرسة النقد التشريحي (Deconstructive criticism) بتداخل النصوص (Intertextuality) و على ما تقول (جوليا كريستيفا): (إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات؛ و كل نص هو تشرب و تحويل لنصوص أخرى).

لا يهتدى الانسان دون السياق و التركيب الى المعنى المقصود و يعجز عن التمييز بين دلالة المعنى و دلالة القصد.

منزلة النص من السياق بمنزلة الكلمة من الجملة فلا قيمة للكلمة دون الجملة.

هناك سياقات مختلفة عند علماء اللغة: السياق اللغوي و سياق الحال او الموقف.

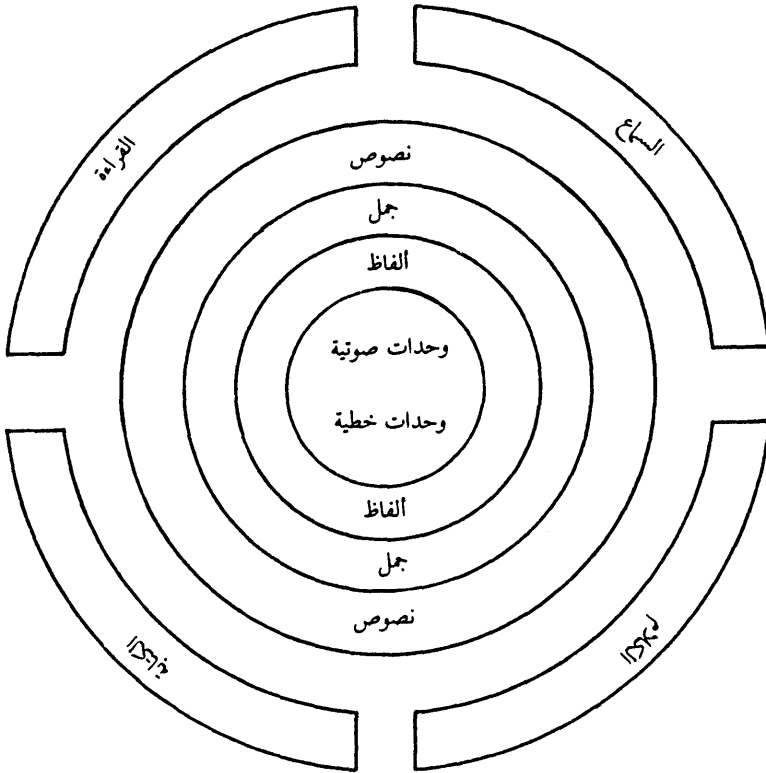
هناك لغة للإشارة و لها دور كبير في حياة الامم بحيث عدّ ٥٠٠ اشارة جسمانية تمثّل اشياء و اعمالاً و صفات و عبارات اجتماعية. و لكنها ليست بعض الاحيان وسيلة دقيقة للمحادثة.

لفهم الشعر و الشاعرية دور بارز في استيعاب و فهم النصوص.  
فلا يمكن ان ينسى المعاني الحقيقية و المعجمية و المجازية و معاني العلاقات.

ملحقات البحث

١- صورة:

شكل (١)  
نموذج الكفاءة/ الأداء للمجالات اللغوية وتدوينها



٢- و الشفرة هي اللغة الخاصة اذلولها لما اهتدى المتلقي الى فهم النص "فان" الشفرة" مهمة جداً في ابتكار النص أولاً ثم في حمايته من الذوبان في السياق. و الشفرة هي خصوصية النص، و روح تميزه" (م،ن، ص ١٠). و يتابع الغدامي بان "العلاقة بين السياق و الشفرة متشابكة تشابكاً عضوياً... فلا وجود لأحدهما دون الآخر... و النص يوجد هويته بواسطة شفرته (أسلوبه)، و لكن هذه الهوية لا تكون بذى جدوى الوجود السياق" (م،ن، ص ١٠).

٣- و لا يخفى على القارئ أن هناك شفرات و رموز تبقى غامضة على الكثيرين و لن يهتدى اليها اللهم الا النفر القليل الذين تربطهم علاقة عضوية بالحدث او الموضوع. و لا يخفى علينا "ان العربية نفسها لا تزال تلعب اليوم، بالنسبة الى العديد من الشعوب الاسلامية غير العربية، دور اللغة اللاهوتية (جورج طرابيشي، ١٩٩٨ م، هامش ص ١٢٤).

٤- لا بأس أن "ما ورد في احدى الملاحم الاسكندنافية القديمة التي كان يتغنى بها شعراء الفايكنغ القدماء قصة نقاش بين رجل دين مشهور و بين ذي عين واحدة من أفراد الفايكنغ الشجعان، حيث يرفع الرجل الديني إصبعاً، فيرد عليه الفايكنغ برفع قبضة يده كاملة. فيتناول العالم الديني ثمرة فاكهة الكرز فأكلها و لفظ نواتها، أمسك الفايكنغ بثمرة ريباس (عنب الثعلب) و ازدريتها. و هكذا استمر النقاش الثقافي لفته طويلاً الى أن اعترف رجل الدين الذائع الصيت بالفشل. و عندما سئل عن السبب أجاب رجل الدين (الآن بلغة الانسان لابلغة الاشارات). «أن خصمي حكيم فذ-أريته اصبعاً واحداً مشيراً الى أن الله واحد. و لكنه واجهني برفع أصبعيه بكل فطنة، مبيناً أنه الى جانب الله الاب يوجد الله الابن، و من ثم حاولت الايقاع به بأن أريته ثلاث أصابع لابين أن قد توجد ثلاث الهة: الاب و الابن و روح القدس. بيد أنه تجنّب الكمين بدكاء مظهراً قبضة يده مشيراً الى أن الله واحد في ثلاثة أشخاص. و بعد ذلك أريته ثمرة الكرز وودت القول أن الحياة حلوة كالكرز غير أنه جعلني أشعر بالخجل ثانية، لانه بازدرائه للريباس أراد أن يقول بأن الحياة أفضل من الفاكهة الحلوة، أن مذاقها الحامض يجعلها أعز و أعلى. أنه لعمرى أكثر رجال الدين حكمة في العالم. "ثم سئل الفايكنغ بعد ذلك فأجاب بكل دهشة "انني لم أفكر بالله بتاتاً أن اهاتته لي كانت عظيمة لانه برفع اصبعه كان يعني اني ذي عين واحدة. فكيف اذن أستطيع

مبارزته. اريته أصبعين لا بين أن عيني الوحيدة تعادل عينيّه. ثم رفع ثلاثة أصابع ليقول: نحن الاثنين معاً نملك ثلاثة عيون، فلم يكن مفراً من أن أريه قبضتي ليعلم أن الافعال لا الاقوال تستطيع أن تضع حداً لمثل هذه الوقاحة. كان رده علي بأنه يستطيع أكلي مثل الكرز ولفظ عظامي مثل نواتها. لذا فأني ازدرئت ثمرت الريباس لافهمه انني لا أنوي غض النظر عن عظامه بل سألتهمه التهاماً» (ن، م، ص ١١-١٥ بتصرف).



### المصادر والمراجع:

- ١- أبو تمام، الديوان، الطبعة الثانية، بيروت، دارالكتاب العربي، ١٤١٤ ق / ١٩٩٤ م.
- ٢- أبو زيد نصر حامد، مفهوم النص، الطبعة الرابعة، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨ م.
- ٣- بدرى، فرحان؛ نظريات الشعر، الطبعة الثانية، بيروت، دارالطلیعة، ١٩٨٨ م.
- ٤- بوسير عونتري، اللسانيات و الطب، مجلة النقد العربي، العدد ٦١، عام ١٩٩٠ م.
- ٥- الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، الطبعة السادسة، مركز دراسات الوحدة العربية، عام ٢٠٠٠ م.
- ٦- حبلىص محمد يوسف الحربي، البحث الدلالي عند الأصوليين، الطبعة الاولى، مكتبة عالم الكتب، سنة ١٩٩١ م.
- ٧- الحربي فرحان بدرى، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، الطبعة الاولى، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ٢٠٠٣ م.
- ٨- حمودة، عبدالعزيز، المرايا المُحدّبة، عالم المعرفة، ١٩٩٨ م.
- ١١- سانديرس فيلى، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة الدكتور خالد محمود جمعة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
- ١٢- دى سوسور، علم اللغة العام، ترجمة يوسف عزيز، آفاق عربية، ١٩٨٥ م.
- ١٣- طرايشي جورج، اشكاليات العقل العربي، الطبعة الاولى، دارالساقى، ١٩٩٨ م.
- ١٤- العوادي، مشكور كاظم، البحث الدلالي عند ابن سينا، الطبعة الاولى، مؤسسة البلاغ، عام ٢٠٠٠ م.
- ١٥- الغدامي عبدالله محمد، الخطيئة و التكفير، النادي الطبعة الاولى، السعودية، الادبي الثقافي، ١٩٨٥ م.
- ١٦- فروزانفر، بديع الزمان، خلاصة مثنوي، چاپ سوم، انتشارات اساطير، سال ١٣٧٧.
- ١٧- القرآن الكريم، سورة مريم، الآيات ٢٨-٢٦.
- ١٨- القعود عبدالرحمن محمد، الابهام في شعر الحدائة، عام المعرفة، ٢٠٠٢ م.

- ١٩- القزويني، خطيب، تلخيص المفتاح، تحقيق ياسين الأيوبي، الطبعة الاولى، المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م.
- ٢٠- كشّاش محمد، لغة العيون، الطبعة الاولى، المكتبة العصرية، ١٩٩٩م.
- ٢١- المظفر، محمدرضا، المنطق، الطبعة الثالثة، مطبعة النعمان (النجف)، ١٩٨٦م.
- ٢٢- كوندارتوف، أ، ترجمة ادور يوحنا، أصوات و أشارات، المؤسسة العامة للصحافة و الطباعة، ١٩٧١م.
- ٢٣- الوهبي فاطمة عبدالله، نظرية المعنى عند حازم القرطاجني، الطبعة الاولى، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م.
- ٢٤- الخروج من التيه، عالم المعرفة، ٢٠٠٣م.
- ٢٥- المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، ٢٠٠١م.
- ٢٦- مجلة الفكر العربي، بيروت، معهد الانماء العربي، العدد ٩٥، شتاء ١٩٩٩م.